محاورة أفلاطون الخيالية

حول التربية الانجليزية

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

— ٢ —

المحاورة بين أفلاطون وأحد المربين الانجليز . ولقد أسفرت في المقالة السابقة من أن التربية الانجليزية إنما تعد الفرد ليشترك في انتخاب الحكومة الديمقراطية التي يكونها الشعب لخدمة الشعب ، وليساهم في حكم الأمة ، وتسيير شؤونها الداخلية والخارجية . غير أن أفلاطون يتساءل كيف يتمكن أفراد الشعب ، بما هم عليه من تربية محدودة ، وخبرة في الحكم والسياسة ناقصة ، أن يوجهوا سياسة الحكومة ، وأن يشرفوا على نظام الحكم ، فهذا التوجيه والاشراف لا يقوى عليه إلا الفيلسوف . وكان آخر سؤال وجهه أفلاطون للمربي هو : لقد قلت إنك تريد أن تكون فرص التربية والتعليم سواء لجميع أفراد الشعب ، فما الذي تريد أن تصل إليه بهذا كله ؟

المربي : المسألة مسألة مبدأ العدالة العامة التي تقضي بأن يتاح لكل أطفال المجتمع على السواء جميع الفرص الممكنة في التربية ، لا فرق بين غني وفقير

أفلاطون : أي الفرص تعني ؟

المربي : الفرص التي تمكن الطفل من تنمية مواهبه وقواه الطبيعية إلى أقصى حد ممكن . الفرص التي تفسح له طريق التعليم الجامعي إن كان عنده الاستعداد العقلي لذلك

أفلاطون : واضح كل هذا . أنت تريد أن تعطي كل فرد في المجتمع مجالاً ليتعلم ، وليتخذ المهنة التي يصلح لها بمواهبه الفطرية ، وتقصر التعليم الجامعي على ذوي الاستعداد العقلي ، والذين يمكنهم الإفادة منه ؟

المربي : أجل هذه هي غايتنا . وقد استطعنا — بوضع هذه الغاية نصب أعيننا — أن نبني نظام التربية في بلادنا على شكل هرمي ؛ يكوّن التعليم الأولي قاعدته ، وعليها يرتكز التعليم الثانوي ، أما التعليم الجامعي العالي فيكوّن القمة

أفلاطون : وهل تَعُدُّون الذين لم ينالوا التعليم الجامعي كاملي التربية ؟

المربي : لا أظن ذلك

أفلاطون : فكيف إذاً يجوز لكم أن تخوّلوا هذا الذي لم يُتِمّ التعليم الجامعي أن ينتخب الممثل النيابي ، وأن يكون له رأي في شئون الأمة وسياستها ، على حين أنك أنت تقرر أنه غير قادر على ذلك ؟ فإذا كان السواد الأعظم من النشء لا يعدو مرحلة التعليم الأولي والثانوي ، ولا ينال أي حظٍّ من التعليم الجامعي فإنه من البين أن هذا الشعب الذي يمثله سواده الأعظم يجب ألا يتحمل أمانة الحكم الثقيلة ويجب أن يترك سلطة الحكم والسياسة في أيدي من ينجحون بتفوق في الامتحانات الجامعية من الرجال والنساء

المربي : حقاً إن هذا لصحيح من الناحية النظرية ، غير أنا — معشر الإنجليز — لا نعتقد أن الدرجات العلمية والجامعية هي المؤهلات الوحيدة لتحمل أمانة الحكم وتبعة السياسة . والواقع أننا نجد معظم الجامعيين من الأساتذة والعلماء على نصيب قليل من الدربة السياسية ، والدراية بطرق الحكم ، إذا قسناهم بهؤلاء الذين تخرجوا في جامعة الحياة اليومية

أفلاطون : إذا كنتم تعتقدون في جامعة الحياة اليومية وإعدادها ، فلماذا إذاً أسستم الجامعات ، ولم تتركوا الأمر للعناية السماوية أو لظروف الحياة (أيهما تختار) لإعداد حكامكم وتكوينهم ؟ وإذا كنتم لا تعتقدون أن التربية تستطيع أن تنشّئ الفرد وتسويه وتخلق منه شخصاً آخر أصلح من ذي قبل لمهنته في الحياة ، سواء أكانت الصّرافة Banking أم التجارة أم الحكم ، إذا كنتم لا تعتقدون هذا فنصيحتي لكم أن تضربوا بمشروعات التربية عرض الحائط ، وأن تتركوا الأمر لظروف الحياة والقدر

المربي : يظهر أنه من المستحيل عليّ أن أبحث أمور التربية مع رجل مثلك يضحي بأية فكرة في سبيل صحة القضايا المنطقية . إن نظام التربية عندنا في انجلترا ليس منطقياً ، لأنه نما نموًّا تاريخياً على أسس رسخ أصلها في الماضي . فهو مملوء بالتناقضات

والنمو ض ، لا لسبب إلا لأنه نشأ وتطور بحسب الحاجة والمناسبات المختلفة المعقدة . فليس نظام التربية عندنا من صنع أفراد مستبدين

أفلاطون : إن ما تقول لجائز . ولكن يجب أن تكون ثمت مبادئ ثابتة تسيرون عليها فى إصلاحاتكم التعليمية ، ومناهجكم التربيوية، وحين تقررون خطوات الإصلاح الاجتماعى . هذه المبادئ الثابتة هى التى أحاول استيضاحها الآن فى محاورتنا هذه . إن صحة المنطق واستقامته ليستا عيباً حتى ولو كان محاورى إنجليزياً ! وإننى أعتقد أن عدم استطاعتك أن تجيب عن أسئلتى البسيطة دليل على عدم وضوح غايات التربية عندكم . فبالرغم من أنكم لم تقرروا بعدُ لِمَ يربَّى الشعب ولم يُعلَّم ، أراكم دائبين على افتتاح مدارس جديدة ، ومطالبين البرلمان بمد أجل التعليم الإجبارى إلى الخامسة عشرة بدلاً من الرابعة عشرة

دعنى إذاً أشرح لك الأمر بوضوح أكثر . هناك نوع من التربية يسمى التربية المهنية أو الفنية ، أليس كذلك ؟ ونعنى بهذه التربية إعداد الفرد لمهنة خاصة أو حرفة

المربى : نعم

أفلاطون : وكنتيجة لهذه المقدمة المنطقية أعتقد أنه من الممكن أن نحكم على كل أنواع التربية بأنها فنية مهنية ، لأن كل إنسان لا يخلو من أن يكون صالحاً بطبيعته لمهنة من المهن التى يمكن أن يتعلمها ويحذقها بالتربية ؛ فالمزارع يمكن أن يتعلم الزراعة ، والبناء يمكن أن يتعلم البناية وهكذا . وقد اعترفت أنت فى حديثك أن الحكم مهنة من المهن ، أفلا يكون من المعقول أن يوجد نوع من التربية يمكن الفرد من التمرن على فن الحكم وإجادته ؟ فما رأيك ؟

المربى : ربما

أفلاطون : إننى أعتبر « ربما » هذه دليلاً على أن ناحية التعقل عندك — لو لم يشبها التحيز والتعصب للرأى — تميل إلى قبول وجهة نظرى . وما دمت توافق على أن هناك نوعاً من التربية ، أو بعبارة أخرى أضبط يمكن أن يوجد نوع من التربية يعد طبقة الحكام ويكونهم ، فدعنا نشرع الآن فى بحث ما إذا كانت التربية الجامعية قادرة على إعداد هذه الطبقة من الحكام ، أوافق ؟

المربى : أظن أنك تتوقع منى الإجابة (بنعم) ما دامت نظريتك هذه مبنية على المبادئ التى فى (الجمهورية)

أفلاطون : لقد سررت كثيراً حينما عرفت أن التعليم الجامعى عندكم يشمل ناحيتين : ناحية البحث العلمى الحر ، وناحية الثقافة العامة ، وحينما وجدت أنكم فى الجامعات تعنون بالمسائل المعنوية النظرية كجزء ضرورى فى التعليم الصحيح ، ولكنى أسفت حينما سمعتك تقول : إن خريجى الجامعات لا يعتبرون عندنا ساسة قديرين ، ولعل السبب فى هذا هو أن معظم الشبان الذين يدرسون فى جامعاتكم لا يهمهم أن يعدوا أنفسهم لمهنة السياسة والحكم ، ولكنهم يعدون أنفسهم لمهنة تجارية أو صناعية أو كتابية ، يستطيعون بها كسب قوتهم ومعاشهم . فإذا كان الأمر كذلك فإن جامعاتكم لا تحتفظ بتلك المبادىء التى قررتها أنا فى أكادمى ولكنها قد أصبحت مدارس فنية عليا لإنتاج الصناع وذوى المهن المهرة ، الذين يظلون دائماً بعيدين عن ميدان السياسة والحكم ، ذوى المهن الذين همهم محصور فى الطاحونة أو دواوين أعمالهم ، ولا يعنيهم من أمر السياسة الدولية العليا وشئونها شىء

المربى : ربما يكون صحيحاً أن جامعاتنا قد أصبحت مدارس فنية عليا ، لأننا لا نعتبرها مجرد معاهد لتخريج الساسة ورجال الحكم . كما أننا لا نحظر الالتحاق بها على أى فرد — رجلاً كان أو امرأة — عنده الاستعداد للبحث العلمى ، أو يريد ثقافة عامة . إننا نريد أن يكون لكل فرد يلتحق بالجامعة حرية اختيار المادة التى يتعلمها والمنهاج الذى يتخذه ، لا أن نزج بهم جميعاً فى حلبة السياسة

أفلاطون : أفهم من حديثك هذا أنكم واثقون بساستكم الحاليين مطمئنون إلى خططهم ، وإلا لما كنتم تتركون أبناءكم يختار كل منهم منهاج الدراسة الذى يريده . ونتيجة هذا هى أن خيرة أبنائكم ذكاء قد أقبلوا على دراسة ما يميلون إليه ، وانصرفوا عن تحمل تبعات الحياة التى يفرضها عليهم ذكاؤهم ، فتراهم مغرمين بمزاولة أشياء لا أثر لها فى تقدم مصلحة الشعب العامة .

المربى : يخيل إلى أن فكرتك عن أهمية رجال السياسة ضخمة

ضخامة الطبل . إن الدولة لا يقبض على زمام شئونها ويسيرها رجال السياسة وإنما أمور الدولة فى أيدى الموظفين ورجال الدواوين والإدارة ، وأصحاب الصناعات والتجارة . هؤلاء هم ذوو الخطر والشأن فى أمور الدولة . أما رجال السياسة فمعظمهم كخطباء المسارح يقولون ما لا يفعلون

أفلاطون : الحقيقة أن الأمر تشابه على ، ولست أدرى أين أنا من رأيك . إنكم لا تنتخبون رجال الإدارة أو الموظفين ورجال الدواوين ، ولا تنتخبون الصناع والتجار ورجال الأعمال ، أتنتخبونهم ! ؟

المربى : كلا ، لا يحدث هذا

أفلاطون : ومع هذا تقول لى إن هؤلاء الرجال هم ذوو الشأن والخطر فى نظام حكمكم الديمقراطى ، وإن السياسيين ما هم إلا خطباء مسارح ! فإذا كان الأمر كما تقول فكيف تزعمون أنكم تتمتعون بالحرية السياسية ، وأن لكم إشرافاً على شئون الدولة وأمور السياسة ؟ يجب أن أعترف بعجزى عن فهم هذا الموضوع ! كأنى بك تقرر أن مؤسساتكم الديمقراطية ، وبرلمانكم النيابية ما هى إلا صورة ومظهر فقط ، ولكن من ورائها يعمل رجال الدواوين والإدارة بحكمة وجد . إننى أعتقد بوجاهة هذا النظام ، وأرى الآن كيف أن التربية عندكم لا ترمى لإعداد الساسة والحكام ، ولكن لتخريج الكفايات — من الرجال والنساء — القادرة على أداء مهمتها ووظيفتها بإخلاص تحدوها المصلحة العامة ، مصلحة الشعب . فإذا كان الأمر هكذا فلتعلنه بصراحة ، ولتُلغ ما ذكرته من أن التربية عندكم إن هى إلا تجربة فى الحكم الذاتى للشعب ، لأن من الواضح أنه ما دامت التربية هى إعداد الأفراد للمهن المختلفة والوظائف التى يصلحون لها ، فأنواع التربية تختلف حتما باختلاف الإعداد

المربى : نعم ، الأمر كذلك .

(يتبع — بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد